الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

تأسيس وتوحيد الدول وتفتيتها..العراق أنموذجا

د. عبد الجبار منديل
اكاديمي- كوبنهاغن

لعل اكبر مفارقة في العصر الحديث هي كيف بدأ القرن العشرون مع العرب وكيف انتهى بهم؟ بدأ وكل العرب يطالبون بالإنعتاق من نير الإستعمار . في البداية الإستعمار العثماني وبعد ذلك الإستعمار الغربي (البريطاني والفرنسي والإيطالي).. وانتهى وهم يتوسلون بدول الإستعمار القديم بأن تصلح بينهم وتحل مشاكلهم وتعمل على ترسيخ وحدة وتماسك كل دولة من دولهم .

ما الذي حدث للعالم ؟ هل نزع الذئب القديم جلده واصبح حملاً وديعا ولبس رداء الحكيم المصلح ام العرب هم الذين تغيروا واصبحوا يؤمنون بأنه ليست لديهم القدرة على ادارة شؤونهم بأنفسهم ؟

اللبنانيون يستنجدون بالدول الكبرى لكي تصلح بينهم وتنصف بعضهم من بعض، المغاربة يستنجدون بالغرب لكي يصلح بين دولهم ويحل مشاكلهم الحدودية والسياسية. العراقيون يستنجدون بكل العالم لكي تخلصهم من (الإخوة الأعداء)-جيرانهم الأشقاء وجيرانهم الأصدقاء ويخلصهم من عنت كل طائفة تجاه الطائفة الأخرى وظلم كل معسكر داخل الطائفة للمعسكر الأخر ضمن الطائفة الواحدة .

ابناء المغرب العربي جميعا والذين ضحى بعضهم بمليون شهيد من اجل نيل الإستقلال وطرد الفرنسيين من ارضهم بات حلم الفرد منهم ان يلحق الفرنسيين الى بلادهم ويحصل على الجنسية الفرنسية او على الأقل الإقامة في فرنسا في حين انه عندما كان لديهم في الخمسينيات من القرن الماضي الجنسية الفرنسية والجواز الفرنسي كانوا يمزقونها ويأنفون من استعمالها .

ما الذي حدث في عالم اليوم ؟ اين أحلام الإستقلال وبناء الدولة النموذج ؟ ومن هو المذنب ؟ ومن هو الملوم ؟ هل الملوم العرب ام ان الملوم هو الإستقلال الذي جاء رداءه اكبر من حجمهم ؟ لماذا لايجد ابناء البلد الواحد لغة مشتركة او يفتقدون اللغة المشتركة ؟ لماذا يبحثون دائما عن نقاط الإختلاف ويتجاهلون جوانب التماثل و الإئتلاف ؟ لعل احد الأسباب هو انه التربية العائلية والعشائرية والوطنية لا تربي الناس على احترام الأخر بل التقليل من شأن الأخر والرفع من قيمة الذات بأكثر مما تستحق . او الإستهانة بالأخر كائنا من يكون والمبالغة في تمجيد الذات كائنة ما كانت .

في عام ١٩١٧ عندما اعلنت الهدنة اثر الحرب العالمية الأولى كانت القوات البريطانية التي احتلت العراق قد وصلت الى تكريت . ولكنها على الرغم من الهدنة المعلنة استمرت في مسيرتها حتى شمال الموصل اي حتى حدود دولة العراق الحديث . وفي تلك الأيام التاريخية الفريدة اتفقت مصالح الدولة البريطانية وهكذا خدمت الدولة العظمى المحتلة العراق من حيث تشعر او لا تشعر وساندت العراق في ضم ولاية الموصل على الرغم انه عند اعلان الهدنة كانت هذه الولاية خارج حدود العراق الحالية ثم تم تأسيس الدولة الجديدة واجتازت هذه الدولة مختلف العقبات واستمرت موحدة حتى الوقت الحاضر . ولكن هنالك حاليا رياح غريبة تهب على هذه الدولة تحت عناوين ومسميات مختلفة . ومهما كانت النوايا خلف هذه العناوين او الشعارات فإن الحقيقة تقول أنها تستهدف وحدة البلد شئنا ذلك ام لم نشأ وسواء اكان ذلك بحسن نية او بسوء نية وسواء عن علم ونوايا مبيتة ام عن جهل .

ان بناء الدولة لا يكون بالولاء للجزء على حساب الكل او ولاء للعائلة او العشيرة او الطائفة على حساب الوطن لأن هذه المتوالية سوف تنتقل بالتتابع حيث سوف تكون بعد ذلك الولاء للعشيرة على حساب الطائفة ثم الولاء للعائلة على حساب العشيرة وهكذا فإن مبدأ التفتت سوف ينتقل من مرحلة اعلى الى مرحلة ادنى الى ان يتفتت كل المجتمع ومن يظن ان التفتت يمكن ان يقف عند حد فهو على خطأ . كأن يقف عند حدود القومية او عند حدود الطائفة او عند حدود العشيرة . ولعل التاريخ العراقي في المرحلة التي اعقبت سقوط بغداد على ايدي التتار خير دليل على ذلك . فطوال سبعة قرون بقي المجتمع العراقي يتفتت ثم ينحدر الى المزيد من التفتت حتى لقد تحول الى شراذم ونسيت هذه الشراذم اصولها وفروعها . بحيث لم يبق من اثر للمجتمع الأول إلا بعض الملامح البعيدة. ومع ان الترميم طال الكثير من ملامح المجتمع العراقي في ظل دولة العراق الحديث التي بدأت في سنة ١٩٢١ إلا ان رياح التفتت عادت تهب مرة اخرى و تحت مختلف المسميات .

ومن يتخيل انه سوف يكون بمنأى عن رياح التفتت اذا ما تفتت العراق فانه واهم لأن التفتت سوف يشمل الجميع . وكذلك فان من يظن بان هنالك من سوف يربح في بورصة الشعارات المتصاعدة فانه على خطأ ايضا . لأن من يربح او يبدو انه يربح اليوم سوف يخسر غداً ومن يخسر اليوم سوف يخسر غداً ايضاً . فليس هنالك من مستقبل امام اصحاب الشعارات الكبيرة والكثيرة إلا الخسارة . وسوف يحدث ذلك بشكل متسارع اذا بقيت الجموع سادرة في غيها الجماعي وفي هوسها الجماعي بالشعارات والعناوين المختلفة . ولن يتوقف ذلك الا اذا اقتنعت هذه الجموع وأذعنت بأن ترعوي الى جادة العراق الواحد والموحد .

خمس سنين على انهيار الديكتاتور

نسبية فعل الاستذكار في تحرير الذاكرة العراقية

محمد خضير سلطان
كاتب

ادب وتقاليد الذكرى الوطنية لشعب ما على الارض او حتى في اليوتوبيا، يستلزم قدرا من مسافة زمنية مستقرة وحاسمة نسبيا في الاوضاع العامة، تفصل بين عالمين او زمنين للذكرى، بين الاستبداد والديمقراطية، الاحادية والتعددية ، الحرب والسلام، تستلزم في الاقل على المجتمع التقاط الانفاس بين عهد وآخر عقب مخاضاته الشرسة الطويلة كما في المجتمع العراقي ونزاعه الطويل مع الاستبداد وفي الوقت الذي كابد عميقا منه الا انه الان يعاني على نحو آخر نزاعه مع الديمقراطية وردود فعل الارهاب.

ان الذكرى الوطنية تحتم استقرار الذاكرة الجمعية النسبي او دفعها الملائم على الاستذكار الهادىء والاحتفاء بالفارق الجوهري بين زمنين وعالمين لا ان يكون الاستذكار استمرارا لزمن واحد متداخل ، عصي على الفصل بين تراكمات محلية واقليمية ودولية، تنتهك براءة الذاكرة بل وتغيب الاحساس بالوجود السياسي وسط انفجارات بركانية هائلة ليس لها اول ولا آخر.... ليس هناك استذكار صاخب لحياة بنفس المستوى وربما اكثر بين السابق واللاحق ، حتى ان مقارنة الدراما العراقية الحية بالدراما اليونانية المتخيلة التي تختزل الوجود الانساني كله وتكثف الوضع البشري على مدى عصور قديمة وحديثة، لا تصلح لمنطق تحليلي مقارن وتتصاغر امام سيزيفية المجتمع العراقي غير المدركة في العقل وغير المنظورة في الواقع بين صخرة الاستبداد وسفوح الديمقراطية.

استعادة الذكرى في عراق ما بعد الديكتاتور، تغدو حسابا استعاديا صرفا خاصا بوسائل الاعلام ومراكز البحوث ووصفة سنوية لمراجعة الوقائع ، والذاكرة المجتمعية لما تزل تحيا صدمة التغيير بالرغم من مرور خمس سنين في الحساب العادي ولم يستطع الفعل السياسي بعد التغيير افراغ وتنقية تلك الذاكرة من الترسبات الثقيلة وسيظل الوضع كذلك ما دامت الذاكرة السياسية لم تستيقظ بعد على نحو نسبي.

وماكان التغيير الا فرصة كبرى لتدشين تحرير شامل للذاكرة الاجتماعية والتاريخية فلم تعن هذه الذاكرة الحبيسة بفعل الاستذكار المنظم وترتيب الوقائع قدر ما افضى التغيير المفاجيء والغامض الى اطلاق الحبيس من التراكمات الاستبدادية ، اذ التقت الدلالة المليونية نحو الاضرحة المقدسة وسط اضطرام الموت والقتل والتفجير، والسوق اخذ اشكاله المشروعة من التبضع المحظور على الفرد العادي في السابق لدواع سياسية واقتصادية اذ تدفقت السلع بسرعة اكبر لاطفاء نهم الحاجات الاساسية الشحيحة، وحرية التعبير افضت الى ساحة مفتوحة ، تجمع المكونات التاريخية والسياسية بانتظار التمأسس والهيكلة في اطار الدولة.

هذه المظاهر او الموجات الثلاث هي جزء من تحرير الذاكرة غير القادرة على الاستذكار في ظل الاوضاع المتفاقمة واستمرار الحرب وعدم اطلاق الاعمار فضلا عن ان هذه الموجات الضعيفة ، تشكل نواة العقل السياسي العراقي في اطار تكويني للدولة الاتحادية اذ تحولت الشعائر الى مكونات تمثيل معبر عنها في نخب سياسية وارتقت حالة السوق الى موازنة اساسها الاقتصاد الريعي لمبيعات النفط وتمخضت حرية التعبير الى منابر اعلامية حزبية لاتنتظم بقانون او تخضع لضوابط مثبتة.

في هذا السياق فان المجتمع العراقي في مرحلته الراهنة لم يقو على فعل التذكروغير قادر على استعادة الذاكرة على النحو السياسي ما لم يحدد مفهوم حريته الاساسية بين نظامين ، الاول اغلق بالمصادفة المحلية المحكومة بالضرورة الدولية ، والثاني يمر مرهونا باحتمالية مفتوحة وسط ردود فعل اجرامية شرسة، انه يحيا صدمة تحرير الذاكرة ولم يتمرن على فعل الاستذكار المنظم ويغدو مرور الذكرى الخامسة والسادسة والسابعة على انهيار الطغيان ما هو في الواقع الا الذكرى الاولى لبدء مرحلة جديدة وزمن الذاكرة العراقي لم يتخط اللحظة المراوحة في مكانها بين التداعي والتشكل معا.

المسابقات الفكرية المعتمدة في المؤسسات التربوية والتعليمية ودورها في تنمية القدرات الابداعية عند الاطفال

د. عبد الرزاق جدوع محمد
أكاديمي

ان للمؤسسات التربوية والتعليمية المعنية بتعليم الاطفال (رياض الاطفال، والمدرسة، ووسائل الاتصال الجماهيرية) دوراً مهماً في إغناء شخصية الطفل فكرياً وادبياً من خلال انفتاحها على الهوايات المختلفة لا سيما المطالعة ، فالمسابقات تتيح الكثير من فرص اختيار الذات واكتشاف قدراتها واستعداداتها المعرفية والابداعية، الى جانب كونها قنوات ترفيه ومنافذ مهمة للتنفيس عن مختلف الطاقات المكبوتة والحبيسة في الذات، تتجلى هذه الهوايات لديه في المهارات والقدرات الابداعية ، بل انها مهمة في التعليم المدرسي، الذي يؤدي الى التعاون وتنمية المواهب لدى الطفل، فضلا عن ذلك فان المسابقات التي تعتمدها هذه المؤسسات تجعل الطفل في حركة ديناميكية دائمة ومستمرة، أي انها تجعله متكيفاً مع الاوضاع السائدة في المجتمع مع الاستمرار في التطوير والبحث والتجديد والابتكار والذي هدفه التقدم نحو الاحسن والافضل لذا فان على هذه المؤسسات توفير الفرص التعليمية التي هي اساس تنمية القدرات وتنويعها، ويمكن القول ان التربية اذا ما شجعت هذه الهوايات لا سيما المطالعة واظهرتها في العملية التعليمية من خلال المسابقات الفكرية فان تأثيرها سيعود حتماً على تطوير مواهبه وتطلعاته.

ومن هنا فان المؤسسات التربوية والتعليمية ستظل عاجزة عن تحقيق اهدافها في تطوير وتنمية شخصية الطفل ما لم تعتمد الممارسة والتدريب الذي يتجسد في هذه المسابقات والتي تساعده على ان يكون منتجاً ومبدعاً. فلا يحصر اهتمامه وتركيز فكره ما لم يكن مهيئا على الوجه المناسب ولا يكون ذلك الا من خلال ممارسة هواية المطالعة التي تنمي التفكير وهي لا تقتصر على النشاط المرتبط بالمقررات والمناهج الدراسية، بل تتعداه الى كل انواع المقروء المفيد في تثقيف الطفل، والمطالعة هي نشاط خاص وموهبة، فالطفل اذا ما تعود عليها فانه، سيكتسب الكثير من المعارف والمعلومات وبوسائل ذاتية، فهو لا يتعلم من اجل المدرسة والامتحانات فحسب وانما من اجل الثقافة والحياة، ومن هنا يأتي دور المؤسسات التربوية في اقرار التنوع في شخصية افرادها باعتباره عاملاً يفضي الى الانفتاح على مجالات الحياة والعمل مما يؤدي الى تنوع قدرات الاطفال وتعدد ميولهم الشخصية، ذلك ان كبت الاختلافات الفردية وتعويقها يحول من دون نمو المواهب والاستعدادات التي تكمن في تكوين كل شخص بوصفه كائناً متميزاً. وهذا يؤدي الى حرمان المجتمع من الامكانات الابداعية الواعدة، لذا فان المطالعات الفكرية المنبثقة عن المسابقات الفكرية هي نشاطات تجديدية وابتكارية.

جملة القول ان المؤسسات التربوية تساهم بدور كبير في تشكيل شخصية الطفل ثقافيا ومعرفيا ليكون في وضع فكري ونفسي يؤهله للتواصل الحضاري وعلى هذا فان الانماء الابتكاري يضيق ويتسع اعتماداً على مدى تعرض هذه المؤسسات الى قوى التثقيف (المعرفي والفكري والادبي)، وما يتولد عن ذلك من تحفيز لافرادها في مجالات الابتكار والتجديد عن طريق التنافس بين الاطفال في شتى ميادين المعرفة.

قنبلة استقلال كوسوفو

تيد غالين كاربنتر

يخلق إعلان استقلال كوسوفو عن صربيا مشاكل خطيرة على جبهات متعددة. إن قرار واشنطن والبلدان الرئيسية في المجموعة الأوروبية تشجيع انفصال كوسوفو سوف يسجل كأحد الأخطاء الفادحة في السياسة الخارجية. فإعلان برشتينا الاستقلال من جانب واحد، يسجل سابقة مقلقة في نظام دولي مليء بالحركات الإقليمية الانفصالية العديدة. بلدان كبيرة مثل روسيا والهند والصين تشعر بالقلق بسبب أقلياتها الإثنية والسياسية المتململة والتي يمكن أن تسعى إلى تقليد كوسوفو. روسيا قلقة بشكل خاص بالنسبة للشيشان؛ والهند قلقة بالنسبة لكشمير، والصين قلقة بشأن زينجيانغ والتبت وتايوان. إن شعور بكين بعدم الارتياح فيما يتعلق بسابقة كوسوفو وتأثيرها على تايوان لم تخففه التهنئة الفورية التي وجهتها تايبيه إلى سكان كوسوفو والتأكيد الذي صدر عنها بوجوب احترام الأمم المتحدة لمبدأ حق تقرير المصير، أي، مطالب تايوان للاستقلال والسيادة.

ولكن هنالك مطالب انفصالية ممكنة في قلب أوروبا نفسها. قبرص-وهو أمر مفهوم-تعارض حركة كوسوفو إذا أخذنا في الاعتبار ادعاءات الجمهورية التركية في شمال قبرص. تركيا التي أقامت الجمهورية التركية في شمال قبرص لها ما يقلقها من القضايا بالنظر إلى الانتفاضة المتواصلة التي يقوم بها الانفصاليون الأكراد. إسبانيا قد تصبح أقل انبهاراً بالنسبة لحركة برشتينا إذا كان من شأن ذلك أن يشجع انفصاليي إقليم الباسك على تشديد حملتهم العنيفة. ولندن التي تبارت مع واشنطن في حماسها لاستقلال كوسوفو، قد تجد من الأسباب ما يجعلها تشعر بالأسف إذا ما قررت اسكتلندا الحصول على الاستقلال.

وبإيجاز، فإن واشنطن ودول المجموعة الأوروبية الكبرى الثلاث-بريطانيا وفرنسا وألمانيا-قد خلقوا مشاكل دولية عديدة نتيجة سياستهم تجاه كوسوفو. الحكومات الثلاث جميعها تزعم بأن وضع كوسوفو هو وضع فريد ولا يشكل سابقة، بيد أن هذا القول ساذج إلى حد يفوق الوصف، وبلدان أخرى متنفذة لا تتفق مع ذلك القول بشكل واضح.

ومع أن الحكومات الحالية قد تقلق بالنسبة لمشاكل انفصالية، فإن هنالك إمكانيات هائلة بأن تستخدم بعض البلدان سابقة كوسوفو لخلق المتاعب. تستطيع موسكو في يوم من الأيام أن تشير إليها كسابقة لتمزيق وحدة أراضي جورجيا المجاورة عن طريق الاعتراف باستقلال أبخازيا المتصلة بجورجيا أو إقليم جنوب أوسيشيا. أو يمكن للكرملين أن يستخدمها كمبرر في يوم من الأيام لوضع يده على القرم التي يتحدث سكانها اللغة الروسية وأخذها من أوكرانيا الجارة.

السوابق الدولية ليست النتائج السلبية الوحيدة المحتملة من خطوة كوسوفو. فبتجاوز مجلس الأمن الدولي بطريقة خبيثة، وبالتالي تجاوز حق الفيتو الذي تتمتع به روسيا، وبتشجيع إعلان الاستقلال من جانب واحد، فقد ساهمت القوى الغربية في مزيد من تسميم علاقاتها المضطربة أصلاً مع موسكو. فما زال الروس يستشعرون وطأة إقدام دول الناتو على تجاوز مجلس الأمن في عام ١٩٩٩ عندما هاجموا صربيا وفصلوا كوسوفو عن سيادة بلغراد. والآن، أظهرت الدول الغربية احتقارها مرة أخرى لوجهات نظر روسيا وأوضحت بأنها لا تحترم صلاحيات مجلس الأمن إلا إذا كان الأمر مناسباً لها.

وقد تكون المغامرة في مزيد من التوتر مع موسكو مبرراً لو كان الأمر يتعلق بقضية مهمة، ولكن أن تفعل الدول الغربية ذلك بشأن موضوع جانبي يتعلق بالوضع السياسي لكيانٍ بلقاني بالغ الصغر هو أمر أكثر حماقة.

أخيراً، فإن منح كوسوفو الاستقلال لن يجلب مزيداً من الاستقرار إلى البلقان كما تتوقع الولايات المتحدة وحلفاؤها. إنه بلا شك سيؤدي إلى نتيجة عكسية. من المحتمل أن يكون بداية لإساءات إضافية ضد سكان كوسوفو الباقين من غير الألبان. فإبان حرب ١٩٩٩ وما تبعها، طُرد من الإقليم أكثر من ٢٤٠٠٠٠ شخص-معظمهم من الصرب، ولكن أيضاً من الغجر، والبلغار، واليهود وغيرهم من الجماعات. لقد تم ذلك التطهير العرقي على نطاق واسع تحت أنظار حلف الأطلسي ولم يفعل الحلف شيئاً لوقفه، أو إلى التخفيف من نتائجه. وبالإضافة إلى التطهير العرقي الأولي، فقد فشلت حكومة كوسوفو وحلف الناتو في وقف أعمال العنف الموجهة ضد البقية الباقية من غير الألبان، أو التدمير المنهجي للكنائس المسيحية وللمواقع الصربية التاريخية.

استقلال كوسوفو سوف يؤدي إلى مرحلة جديدة من الاضطراب. والحقيقة الواضحة هي أنها ستكون ببساطةٍ مجرد وقت قبل أن يتم طرد جميع السكان من غير الألبان من الإقليم. وإذا كان حلف الناتو غير راغب أو غير قادر على منع التطهير العرقي عندما كان يحتل كوسوفو بآلاف الجنود، فإنه بكل تأكيد سوف يكون عاجزاً عن منع فظائع أخرى عندما تكون تلك القوات قد انسحبت. إن الحديث بشأن احترام برشتينا لحقوق الأقليات الإثنية هو مجرد بلاغة دبلوماسية لحفظ ماء الوجه.

وليس ما ذكرنا يغطي المشاكل الكاملة التي سوف تتأتى عن استقلال كوسوفو، فليس هنالك من دلائل على أن سكان كوسوفو وغيرهم من دُعاة ألبانيا الكبرى قد تخلوا عن طموحاتهم الإقليمية في البلقان. إن واضعي السياسة الغربيين الذين يعتقدون بأن تثبيت الوضع السياسي النهائي لكوسوفو سوف ينهي الجهود الألبانية لاسترجاع ما يدعون في مقدونيا ومونتينيغرو (الجبل الأسود) وغيرهما من الأراضي، سوف يصابون بخيبة أمل، ذلك لأن استقلال كوسوفو سوف يؤدي فقط إلى مرحلة جديدة من الاضطراب. إن السياسة التي انتهجتها واشنطن وحلفاؤها الأوروبيون فيما يتعلق بقضية كوسوفو هي من السوء بحيث أننا سوف نعيش مع نتائجها السلبية في البلقان وما وراء البلقان لعقود قادمة. لقد فتحت القوى الغربية بذلك صندوق عجائب من المشاكل.

تنشر بالاتفاق مع مصباح الحرية